حكم الرتبة بين الصفات الصريحة وغيرالصريحة في التركيب النحوي

النحاة وابن عصفور

الرتبة إحدى قرائن التعليق اللفظية في التركيب النحوي التي تتضافر مع غيرها من القرائن؛ لأجل الوصول إلى المعنى وفهم الدلالات المرادة،"ومعنى أن الرتبة قرينة من قرائن المعنى أن موقع الكلمة من الكلمة قد يدل على وظيفتها النحوية" كما يقول الدكتور تمام حسان، والرتبة في النحو العربي نوعان، رتبة محفوظة ورتبة غير محفوظة، والرتبة المحفوظة كتقدم حرف الجر على المجرور و المضاف على المضاف إليه و الموصول على الصلة والمتبوع على التابع..إلخ، والرتبة غير المحفوظة كتقدم الفاعل على المفعول والمفعول على الفعل والمبتدأ على الخبر...إلخ، لكن الرتبة غير المحفوظة قد تتحول إلى رتبة محفوظة لأمن اللبس وسلامة المعنى، كقولك: أخي صديقي، أو لمطلب أسلوبي كرعاية الفاصلة في قوله تعالى" وَكَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" {يوسف٢٥}، و قوله تعالى" وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا" {الأحزاب٢٦}، لكن الرتبة في الصفات المتعددة للموصوف الواحد رتبة حرة، سواء أكانت الصفات متماثلة في الإفراد أو الجمل أو أشباه الجمل أم كانت مختلفة ومتنوعة، ففيها المفرد والجملة وشبه الجملة، فمثال الأول: رجلٌ عجوزٌ كريمٌ صادقٌ ، ومثال الثاني: جاء رجلٌ عجوزٌ في جمع يجر رجليه جرا، فالحق أن رتبة الصفات في هذا كله رتبة حرة، لك أن تقدم وتؤخر كيفما شئت، لكن خلافا وقع بين بعض النحاة في حكم ترتيب الصفات المختلفة، أيهما يتقدم وأيهما يتأخر؟ فبعضهم جعل الرتبة محفوظة مطلقا وأول ما خالف ذلك أو جعله من ضرورات الشعر، ورأى جمهور النحاة أن الرتبة حرة وأن أمن اللبس غاية تسعى إليها اللغة– أي لغة– فيجب حفظ الرتبة في حالات، منها أن يتعرض المعنى للبس أوالغموض، وقد حاول البحث هنا أن يقف على آراء النحاة في حكم الرتبة بين الصفات الصريحة وغير الصريحة، هل هي رتبة حرة أم لا؟ وما حججهم؟ وما موقف السياق من هذا كله؟، وقد دار حديث البحث حول النقاط الآتية:

(١)الصفة الصريحة وغير الصريحة

(٢)خلاف النحاة في رتبة الصفات المختلفة

(٣)تحليل حكم النحاة

(٤)تحليل حكم ابن عصفور